الفصل الثانى
نبـــذة تاريخية عن النوبـــــة

- النوبة عبر الوثائق التاريخية
- النوبة كمصطلح جغرافى
- النوبة كمصطلح حضارى
- النوبة من وجهة نظر الفلاسفة ومؤرخى الفن
- الطوائف النوبية ببلاد النوبة
- الخصائص الإنسانية لسكان النوبة
- طبيعة المناخ فى بلاد النوبة
- الطبيعة الجغرافية وعلاقتها بالمنشآت المعمارية بالنوبة
- أثر المناخ فى تصميم منازل النوبة
- العمارة النوبية
- سمات ومميزات العمارة النوبية
- عمارة المساجد والقبور

obeikandl.com

نبذة تاريخية للنوبة

تناول كثير من الباحثين والمؤرخين وعلماء الآثار والأجناس والاجتماع تاريخ بلاد النوبة من زوايا متعددة إلا أننا وإلى الوقت الحالى هناك بعض الغموض والأمور المجهولة لم ينكشف عنها الستار ، " فقد كان يسكن النوبة فى الزمن القديم جنس أسمر داكن ، وكانت مواطن إقامته تمتد إلى مسافات بعيدة فى السودان وهو أصل النوبيين الحاليين ، غير أن المصريين أطلقوا عليه وعلى سائر الشعوب الأخرى التى تستوطن الجنوب "النُحَّس" .

ولكن أحداً لا يعرف حتى اليوم من أين أتى هذا العنصر وإن كانت الكشوف الأثرية قد دلت على أنه قريب الصلة بسكان مصر فى ما قبل الأسرات"[١] .

"ويرى بعض العلماء أنهم فى الأصل شعب نازح من الجنوب تغلب عليه المميزات والصفات الأفريقية ثم تعرض لهجرات قوقازية من الشمال والشرق والغرب ، ويرى البعض الآخر أنهم فى الأصل شعب قوقازى تأثر ببعض الهجرات الأفريقية "الزنجية" [٢] .

النوبة عبر الوثائق التاريخية :

تعتبر أول وثيقة ذكرت كلمة النوبة "كتاب الجغرافيا لسترابون عام ٢٥ ق.م وهذا التعبير الجغرافى أطلقه شرابون على المنطقة التى تبدأ جنوباً من مروى عند الشلال الرابع وتنتهى شمالاً عند منطقة أبو حمد" [٣] .

---

(1) محمد عوض محمد ١٩٥٦ ، السودان الشمالى : سكانه وقبائله (الطبعة الثانية ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، صـ٢٩٦ .

(2) S. Hilletson 1930, "Nubian Origins" Sudan Notes and Records (No. 13; Cairo), P. 140.

(3) عبد المنعم أبو بكر ١٩٦٢ : بلاد النوبة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ، صـ٤٤ .

النوبة كمصطلح جغرافى :

وقد "أطلق عليها القدماء المصريين أسماء (يام وارام وكن ست وتاسيتى)، وكلمة تاستى تعنى "أرض القوس" ، أى بلاد حاملى الأقواس وكذلك المنطقة المحيطة بالجندل الأول من أقاليم الصعيد الذى امتدت حدوده جبال السلسلة إلى الشمال من كوم أمبو" [١] وعرفت أيضاً " ببلاد الكوش ، وكوش هو الجد الأعلى للنوبيين وأخو مصرايم الجد الأعلى للمصريين وكلاهما من حام بدر نوح كما تقول التوراة".[٢] وبذلك يعد "المصريون القدماء أول من صنفوا النوبيين إلى فئتين حسب محل إقامتهم فأصبح عندهم النوبة السفلى وتمثلت فى " واوات " والنوبة العليا وتمثلت فى كوش". [٣]

ويذكر فى موسوعة الحضارة المصرية القديمة أن " النوبة السفلى وتتبع مصر تمتد من أسوان حتى وادى حلفا ، والنوبة العليا وتتبع السودان الممتدة إلى الجنوب من الجندل الخامس تقريباً".[٤]

النوبة كمصطلح حضارى :

كلمة نوبة تستخدم كمصطلح حضارى ، ينطبق على منطقة من وادى النيل يتكلم سكانها مجموعة اللغات النوبية " [٥] واختلف العلماء فى أصل اسم "

---

(1) جيمس بيكى ١٩٩٤ : الآثار المصرية فى وادى النيل ، ترجمة نور الدين الزرارى ، الهيئة العامة للكتاب ، الجزء الخامس ، صـ١٤ .

(2) صدقى ربيع ١٩٦٢: النوبة بين القديم والجديد ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، صـ١٠ .

(3) السيد حنفى عوض ١٩٩٠ : النوبة ومجتمع التعاون ، مكتبة نهضة الشرق ، ط٢ ، صـ١٤ .

(4) سمير أديب : موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، دار العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ، صـ٧٠٩ .

(5) Janine Bourriau 1981 : Umm El.Gaab Pottery from the Nile valley, Cambridge university, p. 97.

النوبة" ، كما اختلفوا فى تاريخ النوبة ونشأة لغة سكانها ، والأصل القديم للكلمة مشتق من لفظ نوب ومعناها باللغة المصرية القديمة الذهب ، حيث اشتهرت هذه المنطقة بالعديد من المناجم لهذا المعدن النفيس ، مما أدى إلى كثير من الهجرات والرحلات التجارية والغزوات التى تعرضت لها بلاد النوبة منذ فجر التاريخ".(١)

النوبة من وجهة نظر الفلاسفة ومؤرخى الفن :

هناك جهود لبعض مؤرخى الفن حول أصل كلمة نوبة وإلى أى شئ تنسب ، ويذكر "المؤرخون المسلمون اسم النوبة على أرض وادى النيل الممتدة على جانبى هذا النهر العظيم بين مدينتى أسوان والخرطوم الحالية وينسب الطبرى تسمية النوبة إلى نوبة بن حام بن نوح عليه السلام " (٢) ، وبذلك يتضح للباحث أن كلمة نوبة من وجهة نظر المؤرخون المسلمون تتفق مع التعريف الجغرافى لكلمة نوبة ، ويؤكد على ذلك قول " لسلى جرينر Leslie Greener " فى كتابه High dam over Nubia أن كلمة نوبة هى تسمية جغرافية مقسمة بين مصر والسودان ولا تحمل أى معنى سياسى". (٣)

كما تعد منطقة "النوبة السفلى جزء من أراضى الإقليم المصرى ، وتقع شمال خط عرض ٢٢ شمالاً وعلى امتداد النيل لمسافة تبلغ حوالى ٣٢٠ كم" (٤)، وتمتد من شمال وادى حلفا إلى أسوان وتضم هذه المنطقة على امتدادها ٣٩ قرية وبندر واحد" (٥) وقد قسمت إلى مناطق بأسماء مختلفة "فيطلق اسم وادى الكنوز

---

(1) Alan Gardiner 1976 ; Egyptian Grammer, Riffith institute, Ashmolean museum oxford, reprinted, p. 505.

(2) عطية القوصى ١٩٧٦ : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، صـ ٤١ .

(3) Leslie Greener 1976 : High Dam over Nubia, London, p. 17.

(4) وزارة الشئون الاجتماعية ١٩٦٣- ١٩٦٤: تهجير أهالى النوبة ، إدارة المعلومات والعلاقات العامة ، صـ١٩.

(5) مصطفى عامر ١٩٦٠ : بلاد النوبة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة، ص١١

على المنطقة الواقعة بين أسوان وكوروسكو ، ويطلق اسم وادى النوبة على المنطقة الواقعة جنوب الدار حتى وادى حلفا ، ويتخلل هاتين المنطقتين منطقة ثالثة تدعى وادى العرب ، وهى منطقة صغيرة المساحة ، ويعتبر اسم وادى الكنوز مشتقاً من مصادر متعددة ، فالبعض يرجعه إلى هجمات قامت بها قبائل عربية حوالى سنة ١٠٢٠ م أثناء حكم الخليفة الحاكم ويقال أن الخليفة أطلق على شيخ تلك القبائل العربية اسم (كنز الدولة) لما كان يربطه به من صلة النسب ، ويقال أن أسرة شيخ القبائل العربية هذا استقرت على مقربة من الجندل الأول ، فى منتصف القرن التاسع الميلادى ، وتسنى لها بعدئذ السيطرة على البلاد النوبية المجاورة لها ، فسميت من بعد (بنى كنوز) أو كنوز لتعذر التفرقة بينها وبين المواطن الأصلية التى استقر بها العرب .

ويرجع البعض الآخر اسم كنوز إلى اسم فرعون قديم كان يطلق على جزيرة تقع بالجندل الأول يطلق عليها اسم كنسى ، وقد تكون هذه الجزيرة القديمة هى نفس الجزيرة المسماة اليوم كونوسو ، وفى رواية ثالثة يرجع الاسم فى أصله إلى الكلمة الفرعونية (تاكنز) أى بلاد الأقواس"[١] وسوف يتناول الباحث على الصفحات القادمة مزيد من الضوء على الطوائف النوبية السفلية منها والعليا موضحاً خصائص سكانها ولغتهم لكل طائفة .

---

(1) سعد الخادم ١٩٩٧ : الفنون الشعبية فى النوبة ، مكتبة الدراسات الشعبية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص١٣٧-١٣٩.

obeikandi.com

(١) الطوائف النوبية ببلاد النوبة :

أ- الطوائف السفلية :

الكنوز :

ترجع تسمية (الكنوز) بهذا الاسم إلى عصر الفاطميين حيث منحت الإمارة على هذه المنطقة بأمر الحاكم بالله إلى الأمير أبو المكارم هبة الله الذى تمكن من القبض على أحد الخارجين على الحاكم بأمر الله مما رفعه إلى إكرام الأمير ولقبه (كنز الدولة) اعترافاً بفضله ويعتبر الكنوز من أفقر سكان منطقة النوبة إذ أن المنطقة التى كانوا يقطنونها كانت جبلية جرداء تندر بها الأراضى الزراعية لسبق تأثرها بتعليتان لخزان أسوان مما كان له الأثر الأكبر فى هجرة الكثير من أبنائها إلى الشمال سعياً وراء الرزق "[١] ، ويقيمون سكان الكنوز فى المنطقة الشمالية من النوبة حتى الكيلو ١٤٥"[٢] ، " وبالتحديد يسكن الكنوز المنطقة الممتدة من أسوان إلى بلدة المضيق التى تقع شمال وادى السبوع بقليل وبالقرب من كرسكو ويعيشون بـ١٧ قرية تقع على النيل من الشلال الأول إلى كرسكو **وهم بالترتيب الآتى** :

- دابو	- دهميت	- الأمبركاب	- كلابشة
- أبو هور	- مرواو	- مارية	- جرف حسين
- قرشة	- كشمنة شرق	- كشمنة غرب	
- الدكة	- العلاقى	- قورته	- الممرقة
- سيالة	- المضيق		

---

(1) صدقى ربيع ١٩٦٢: النوبة بين القديم والجديد ، مرجع سابق ، صـ٥٠ .

(2) وزارة الشئون الاجتماعية ١٩٦٤ : تهجير أهالى النوبة ، مرجع سابق، صـ٢٠ .

obeikandl.com

وينقسم الكنوز فيما بينهم إلى جماعات صغيرة العدد نزح بعضها شمالاً حتى أدفو واستقروا فى القرى المختلفة ".. [١]

لغة الكنوز :

"يتحدث الكنوز اللغة الهوتوكية" [٢] ، وهى لغة غير مكتوبة وتعتبر لغتهم الأصلية بالإضافة إلى العربية وتسمى الرطانة وهى لغة حديث وكلام فقط وليست لغة كتابة ".[٣]

عرب (العليقات) :

يقيم العرب فى المنطقة الوسطى من النوبة المصرية من "كيلو ١٤٥ حتى كيلو ١٨٣ جنوباً وهى المنطقة الواقعة جنوب المضيق" [٤] والعرب قد جاءوا أصلاً من " الحجاز ثم هاجروا في القرن الثامن عشر من سيناء إلى بلاد النوبة واستقروا فى تلك المنطقة وكانوا يقيمون بخمس قرى تلى قرى الكنوز" [٥] وهم (السبوع ، وادى العرب، شاترمه ، السنقاوى ، المالكى). [٦]

لغة العرب :

جميع أهل المنطقة الوسطى (العرب) يتكلمون اللغة العربية .

الفاديجا :

---

(1) عطية القوصى ١٩٧٦: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٣٧

(2) وزارة الشئون الاجتماعية ١٩٦٤: تهجير أهالى النوبة ، مرجع سابق ، صـ ٢٠ .

(3) محمد عوض محمد ١٩٥٦ : السودان الشمالى ـ سكانه وقبائله ، مرجع سابق ، صـ ٣٠٨ .

(4) عز الدين إسماعيل ١٩٧٢ : ٢٠ يوم فى النوبة ، العدد ٤٣ من كتاب الجمهورية ، صـ ١١ .

(5) صدقى ربيع ١٩٦٢ : النوبة بين القديم والجديد ، مرجع سابق ، صـ ٥١ .

(6) إبراهيم شعراوى ١٩٦٣ : النوبة بلاد الإيمان ، القاهرة ، صـ ١٢ .

obeikandl.com

يقيمون فى المنطقة الجنوبية وهى "المنطقة التى تمتد من الكيلو ١٨٣ حتى الكيلو ٣٢٠ أى حتى التقاء حدودنا المصرية بحدود السودان ، وتبدأ من قرية كورسكو إلى الشلال الثانى" [١] ، **وتضم المنطقة القرى الآتية :**

- كورسكو	- أبو خنضل	- الريفة
- الديوان	- الدور تنقالة	- توماس وعافيه
- فته	- أبريم	- الجنينة والشباك
- عنيبه (بندر)	- مصمص	- توشكى غرب
- توشكى شرق	- أرمنا	- أبو سمبل
- قسطل	- بلانة	- أندان ". [٢]

لغة الفاديجا :

يتحدث النوبيون بهذه المنطقة اللغة الفيدكية"، وهى نهجة الفاديجا الخاصة بهم ويطلق عليها أيضاً الرطان بالإضافة إلى أنهم يتكلمون اللغة العربية أيضاً، والدراسة الحالية تقتصر على النوبة المصرية فقط بطوائفها الثلاث (الكنوز ــ العرب ــ الفاديجا) ودراسة الزخارف المميزة لكل طائفة على حدة.

منطقة النوبيين :

" وكانت هذه المنطقة من أغنى مناطق النوبة حيث كان يزرع بها حوالى ٨٠٠٠ فدان من الأراضى الزراعية منها ٥٠٠ فدان كانت تروى رياً مستديماً كما أنها كانت تشتهر بتربية الماشية ". [٣]

ب- الطوائف العليا :

النوبة العليا "تمتد من وادى حلفا إلى بلدة الدبة وهى تسير مع خط ٢٢° شمالاً وهى تبدأ شمالاً من الشلال الثانى إلى نهاية بلاد النوبة جنوباً التى كانت

---

(1) صدقى ربيع ١٩٦٢ : النوبة بين القديم والجديد ، مرجع سابق ، ص٥١

(2) وزارة الشئون الاجتماعية ١٩٦٤ : تهجير أهالى النوبة ، مرجع سابق ، ص٢١

(3) صدقى ربيع ١٩٦٢ : النوبة بين القديم والجديد ، مرجع سابق ، صـ٥١ .

obeikandl.com

فى موضوع التقاء النيلين الأزرق والأبيض تقريباً ، وتلك المنطقة كان يطلق عليها كوش" [١] ، **وتسكن هذه المنطقة الطوائف الآتية** :

الســـكوت :

يقطنون منطقة الشلال الثانى وتنتهى حدود أوطانهم عند وادى حلفا فى الشمال .

المحـــس :

تقع فى منطقة الشلال الثالث ، ومن المعـروف أن إقليمـى السـكوت والمحس محدوداً الموارد بوجه عام ، ولذلك كثير ما يحـدث أن يتكـاثر عـدد السكان ويضطرون إلى الهجرة فى جماعات كثيرة ، ويتجه المحس عـادة إلـى الشمال أى إلى مصر .

الدنـــاقلة :

"يقطنون المناطق الواقعة إلى الجنوب من الشلال الثالث ، والتـى تمتـد فيما بين بلدتى (الدبة ، أبى فاطمة) وهى منطقة تمتاز بخصوبتها واتساع الوادى فيها وخلو النيل من العوائق والشلالات التى تعوق الملاحة" [٢] .

مما سبق يتضح للباحث أن هناك تشعب وتعـدد للطوائـف النوبيـة ، ويتساءل الباحث : هل اختلفت الخصال والطباع للإنسان النوبى لهذا الشـعب ؟؟ أم هناك خصال عامة ثابتة فيما بين سكان تلك المناطق ؟ هـذا مـا سيوضـحه الباحث من خلال تناوله للخصال والطباع المميزة لسكان منطقة النوبة .

---

(1) مصطفى عامر ١٩٦٠ : بلاد النوبة ، مرجع سابق ، صـ١١ .

(2) على زين العابدين ١٩٧٦ : الحلى الشعبية النوبية وقيمها الفنية وأساليبها التقنيـة ، مرجع سابق ، صـ٢٤-٢٦ .

الخصال الإنسانية لسكان النوبة :

يعتبر "الشعب النوبى شعب قديم عريق عاش على أرضه منذ آلاف السنين وتجمع أغلب الدراسات التى تمت لمعرفة أصل الجنس النوبى ، على أنه من نفس سلالة قدماء المصريين" [١] ، كما تعددت آراء العلماء حول أصل النوبيين ، فقد رأى بعضهم "أنهم فى الأصل شعب نازح من الجنوب تغلب عليهم المميزات والصفات الأفريقية ثم تعرضه لهجرات قوقازية من الشمال والشرق والغرب ، ورأى البعض الآخر أنهم فى الأصل شعب قوقازى تأثر ببعض الهجرات الأفريقية (الزنجية) أو دخلته الدماء الأفريقية كما هو الحال فى سائر وادى النيل عن طريق تجارة الرقيق" [٢] ، وتميز الإنسان النوبى " بأمانته وصراحته وهدوئه وبساطته .

كما يمتاز بالكرم والشجاعة وسماحة النفس والنظافة ، وهى الصفات التى أوجدتها الظروف البيئية الطبيعية والاجتماعية ، والنوبيون قوم مسالمون كما يمتازون بحساسية مفطرة وشعور بالكرامة واعتزاز بها " [٣] ومجتمعهم " مجتمع ليس من السهل الاندماج فيه لغير النوبيين ، كما أن نساء النوبة خجولات لا يقتربن من الغريب، ويقول الرحالة (لامورت) أنه لا يجد فى رحلته الطويلة من هم أكثر أمانة من أهل النوبة ويقول أن الإنسان النوبى مستقيم ، عفيف النفس، كريم ، أمين إلى أقصى حد".[٤] ، ولذلك يتميز المجتمع النوبى " ببساطة

---

(1) محمد عوض محمد ١٩٥٩ : الشعوب والسلالات الأفريقية ، دار المعارف ، القاهرة ، صـ٢٠١ .

(2) السيد أحمد حامد ١٩٨٢: النوبة الجديدة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، صـ٢١-٢٢ .

(3) مصطفى عامر ١٩٦٠ : بلاد النوبة ، مرجع سابق ، صـ٣٦ .

(4) Leslie Greener: Op cit , p. 35

أهله فى كل شئ أمانة وتعاطف وهناء وسكينة وقلما تتوافر فى مجتمع آخر رغم وجود ثلاثة عناصر من السكان وهم الكنوز والعرب والفاديجا" [١] .

طبيعة المناخ فى بلاد النوبة :

تمتاز منطقة النوبة بمناخ يندر فيه الأمطار ، وتكثر فيه الرياح الشمالية فى فصل الصيف شديد الحرارة ، أما الشتاء فهو دافئ ونتيجة لمناخ النوبة الحار قد هجر الكثير من أبنائها إلى الشمال نظراً لتأثيرها على الحياة الاقتصادية حيث "ظلت البلاد عاجزة عن تأمين القوت لهؤلاء الإناس من أهل النوبة أكثر من قرن كامل ، وعندما يكون فى إمكان النوبيين زراعة بعض المحاصيل فى الأراضى المجاورة للنهر ، وريها من مياهه ، فإن شدة الحرارة تصبح أحياناً لا تطاق ، ويضطر الزراعون إلى جنى محاصيلهم حتى قبل أن تنضج لاستخدامها كعلف"[٢] .

وتعتبر بلاد النوبة إقليم مدارى حار شديد الجفاف فيه الرياح الشمالية معظم أيام العام، وتهب عليه عواصف رملية محلية فى فصل الخماسين وتسقط الأمطار بندرة ، وإذا تعرض لأمطار غزيرة تنتج عنها سيول شديدة . نتيجة للانحدارات الجبلية الموجودة بالموقع . وتبلغ متوسط درجات الحرارة حوالى٤٥ درجة مئوية صيفاً أثناء ساعات النهار و٢٨ مئوية أثناء ساعات النهار شتاءاً .[٣] ومن هنا نجد أن كل تاريخ النوبة يعكس أثر جغرافية المكان على النوبيين فقد

---

(1) صدقى ربيع ١٩٦٢ : النوبة بين القديم والجديد ، مرجع سابق ، صـ٥٣ .

(2) توم لنيل ١٩٦٨ : إخضاع النيل لإرادة الإنسان ـ السد العالى ـ ترجمة فيرى حماد ـ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، صـ١٥٣ .

(3) هانى لويس عطا الله ١٩٨٨ : إعادة توطين وتنمية المجتمعات النوبية بمنطقة بحيرة السد العالى ـ رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة ، جامعة حلوان ، دكتوراه صـ١٤ .

ارتبطت النوبة المصرية بالنيل ارتباطاً وثيقاً فهو مصدر وجودها الأصلى [١] "وارتبط تاريخ بلاد النوبة وتاريخ مصر بعوامل متعددة منها العامل الطبيعى" [٢] مما يؤكد اندماج جغرافيتها وتاريخها ، ويوضح مدى دور وأثر الجغرافيا فى تاريخ النوبة ، ويظهر ذلك بوضوح فى كونها معبر برى بين شمال وجنوب وادى النيل بين مصر ووسط أفريقيا لذا نجد أن النوبة تعتبر أهم طريق وأهم مدخل إلى السودان .

الطبيعة الجغرافية وعلاقتها بالمنشآت المعمارية بالنوبة :

"كان للطبيعة الجغرافية أهمية كبيرة فى مختلف أوجه النشاط الإنسانى ، ومن ثم كانت لها نفس الأهمية فى التأثير على نشأة العمارة وتكوين الفنون ، حيث أن توفر الماء ووجود الأنهار وكثرة الغابات ووجود الوديان وخصوبة الأراضى ساعد على سرعة قيام المدن وازدهار المدنيات وإنضاج الفنون والحضارات فى وقت قصير" [٣] .

فمن أبرز مظاهر الطبيعة الجغرافية فى النوبة الشمس الساطعة والتى استفاد منها فى عمل الريليف (البارز والغائر) على واجهات البيوت ويتضح ذلك فى شكل (١) والذى يعتمد أساساً على حركة الشمس اليومية من الشرق إلى الغرب وما تحدثه من ظلال وأضواء عندما تنعكس على

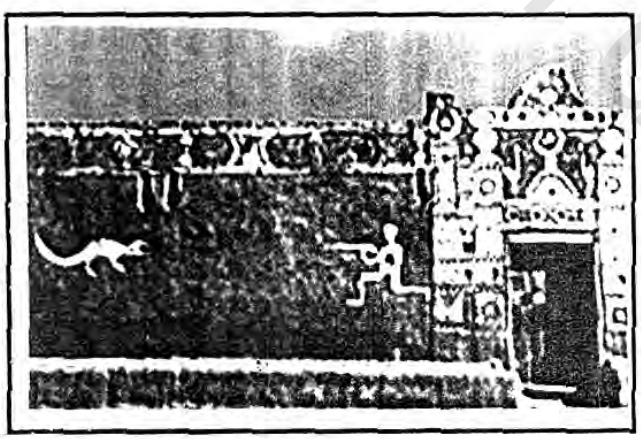

شكل رقم (١)

---

(1) فاروق عبد الجواد شويقة ١٩٧٤ : النوبة المصرية "دراسة فى تفاعل الإنسان والبيئة"، رسالة دكتوراه غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ص١١٦

(2) نفس المرجع السابق ، صـ١٢٨ .

(3) فريد شافعى ١٩٧٠ : العمارة العربية فى مصر الإسلامية عصر الولاة ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، صـ٢٣٥ .

الأشكال والأجسام"[١] ويؤكد "فرنية روبرت ١٩٧٣م أن للطبيعة الجغرافية دور واضح فى بلاد النوبة مما كان له أثر واضح على نوعية العناصر الزخرفية للخامات المستخدمة فى جنوب النوبة ، حيث كان من النادر طلاء الجدران لزخرفة المنازل ، فأعمال الطمى البارزة البسيطة كانت شائعة فى الجنوب ، "أما فى الشمال فلم يتبق إلا الصخور والرمال ولكن ماذا يعوض الجمال للطبيعة ؟ إن طلاء الجدران وزخرفة المنازل وأعمال الزخرفة البارزة الملونة قد ازدهرت فى المنطقة وأصبحت الرسوم متنوعة التفاصيل ، وظهرت البيوت الزاهية فى تحد وسط الصخور الجرداء الجامدة ، كما لو أن الناس تحايلوا على أعداء الطبيعة بخلق عالم آخر أكثر جمالاً من صنعهم"[٢] فزخرفا واجهات منازلهم بعناصر نباتية مرسومة بأشكال أصيص الزرع وأشجار النخيل والنباتات ، وكذلك بمجموعات من الطيور وعناصر زخرفية أخرى تضيف للمبنى جمالاً زخرفياً تعويضاً عن الطبيعة الصخرية الرملية ، لتتضافر العناصر الزخرفية مع البيئة المحيطة فى انسجام تام ، وسوف يحاول الباحث تناول تلك المفردات التشكيلية والتى استخدمها الفنان النوبى باقتدار لصالح الجانب الجمالى فى تنفيذ بعض المشغولات المعدنية المستوحاة من الطبيعة النوبية .

وللتكوين الجيولوجى أثر واضح فى الخامات المستخدمة فى البناء بالقرى التى تقع فى أماكن تكثر فيها الأحجار ، والصخور ، ويقل فيها الطمى ويقوم سكانها ببناء منازلهم من الحجر وليس الطين اللبن على خلاف بعض القرى الأخرى وخاصة فى الجنوب حيث يكثر الطمى ومن هنا نجد تأثيره على شكل العمارة والتكوينات الزخرفية .

---

(1) نبيل الحسينى ١٩٨١ : منابع الرؤية فى الفن ، مرجع سابق ، صـ١٥ .

(2) Robert Fernea 1973 , Georg Gerster and Horst Jaritz – Nobian in Egypt" library of congress catuloying publiatiation data, p.5.

شكل رقم (٢)

ويتضح ذلك فى قرية أدندان حيث الزخارف النحتية البارزة والغائرة التى تأثرت حول المداخل وأعلى الفتحات والأسوار . كما موضح فى شكل رقم (٢) وكذلك كان لتوفر بعض الأكاسيد الطبيعية فى منطقة النوبة أثر واضح فى التلوين والرسوم الجدارية" . (١)

أثر المناخ فى تصميم منازل النوبة :

"للمناخ أثر واضح فى تصميم منازل النوبة ، فتصميم المنازل النوبية الشمالية أو الجنوبية كان يتم بعناية مع أخذ عامل المناخ فى الاعتبار ، فشهور الشتاء باردة جداً مع رياح شمالية مستمرة، ومن ثم فإن مواقع المناطق السكانية كانت تواجه الجنوب والغرب كى تتعرض لأكبر قدر من الشمس" (٢) ومن ناحية أخرى ، وبسبب حرارة الصيف التى تهب من الجنوب والغرب ، فإن جدران المنازل فى هذه المنطقة كانت عالية لتلقى ظلالاً قريبة من الجدار نفسه . ولأسباب مماثلة فقد كانت المساحات المسقوفة أو ذات السقف المفتوح فى الفناء تبنى فى الجانب الجنوبى أو الشرقى من الفناء وتفتح على الشمال والغرب لكى تسمح بمرور أكبر قدر من النسيم الذى يصل متأخراً فى المساء . وبمثل هذا

---

(1) أحمد شحاتة أبو المجد ١٩٨١: رسالة ماجستير غير منشورة، مرجع سابق ، ص١٨ .

(2) Kennedy John 1978 , Nubian germemonial life the university California press and American university in Cairo new York, P.56 .

الترتيب فقد اعتبرت هذه المساحات مكاناً للمعيشة والنوم أكثر تحملاً أثناء حرارة الصيف . (١)

ويذكر "فرنيه روبرت" أن المناخ مسئول عن عدم وجود الشبابيك فى الأماكن الخاصة بالأسرة ، فزاوية ميل الكاوات الضيقة الموجودة فى أعلى الجدران تسمح بتهوية الحجرات بدون التعرض لرياح الشتاء الباردة ، وهناك بالطبع سبب آخر لعدم وجود الشبابيك ، وهو حفظ الأسرة بعيداً عن مجال رؤية المارة . (٢)

وقد تكون هناك أسباب تاريخية لعدم وجود شبابيك حيث أن القبائل الصحراوية قد تعودت الإغارة على هذه المستوطنات للسرقة ، وقد يكون هذا سبباً أساسياً فى بناء جدران المنازل العالية ، كما أن النوافذ العريضة أقيمت فى فتحاتها قوالب من الطوب اللبن اتخذت أشكال المشربيات فى الفن الإسلامى ، وهى تسمح بنفاذ الضوء الخافت من خلالها وتمنع دخول نفاذ أى شخص منها . ويتضح مما سبق الدور الفعال لعامل المناخ من حيث انعكاسه على البعد الوظيفى لنوعية الزخارف النوبية المستخدمة .

---

(1) أحمد شحاتة أبو المجد ١٩٨١: رسالة ماجستير غير منشورة ، مرجع سابق ، صـ١٦ .

(2) Robert Fernea 1973, Nubian in Egypt, Ibid, P.50.

obeikandl.com

العمارة النوبية :

تطورت العمارة النوبية فى النصف الأول من القرن العشرين وأصبح لها طابعاً مميزاً أشتمل على تراث وخبرة الأجيال السابقة ومن هنا نجد الكثير من الرحالة تحدثوا عن العمارة النوبية المشكلة من الطوب اللبن وطلائها بطبقة من الملاط الطينى (الناعم أو الخشن) كما موضح فى شكل رقم (٣) . تم طلائها ببياض الجير كأرضية لأعمال التطوير الذى اعتاد عليه الفنان الشعبى النوبى لتجميل مسكنه كما هو موضح فى شكل رقم (٤) .

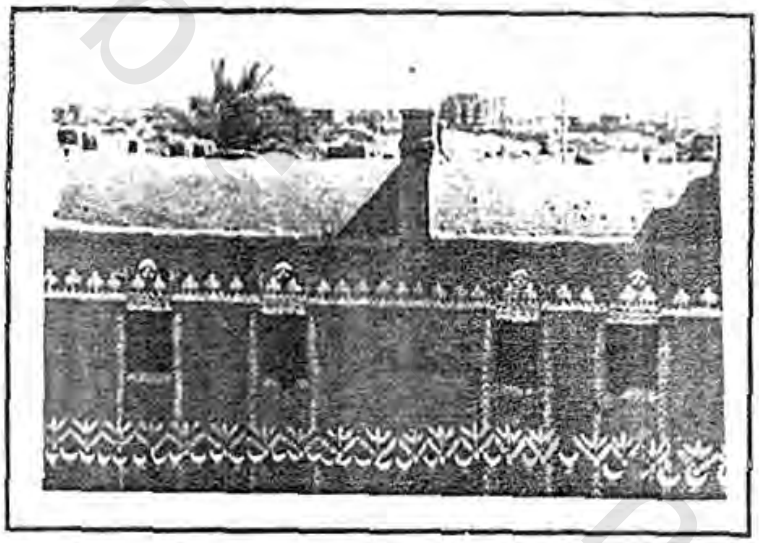

شكل رقم (٣)

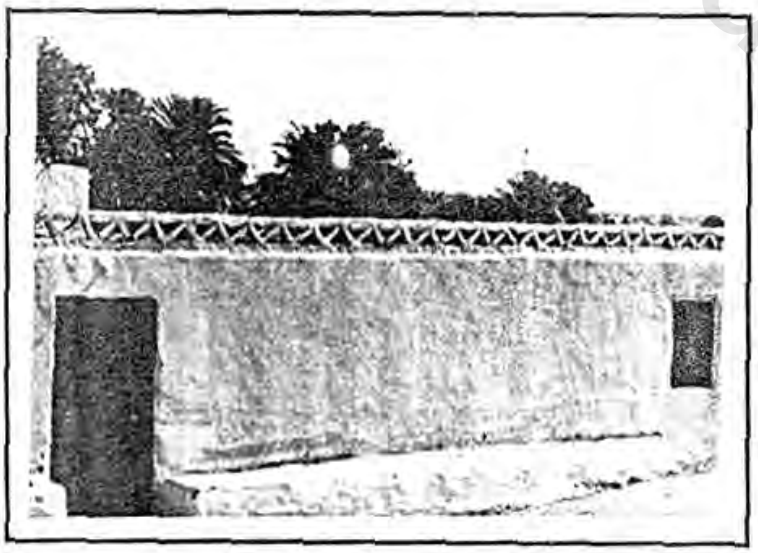

شكل رقم (٤)

ويؤكد بوركهات Borkhart ١٨١٩ "أن بيوت النوبة فى معظم الأحيان مقامة من الطين اللبن ونجد أنها تميل إلى التجمع والتكرس مما يضطر الأهالى أحياناً إلى إقامة مساكنهم على سطح الجبل أو أعلى قمته ،

كما موضح فى شكل (٥ ، ٦).

وتتسم هذه الأبنية بخصوصية فى لونها وعند ثباتها تكون مشابهة للون الأرض مما دعى الفنان النوبى إلى تناول الزخارف، والمعالجات لمغايرة هذا اللون" [١] ومن هذا نجد أن أشكال العمارة النوبية كانت نتاجاً لعدة عوامل وهى :

(١) البيئة . (٢) المناخ .

(٣) حالة اقتصاد النوبيين .

واستمرت العمارة النوبية حتى بنا السد العالى الذى كون من خلفه بحيرة واسعة وهى بحيرة ناصر التى أدت إلى غرق معظم قرى النوبة .

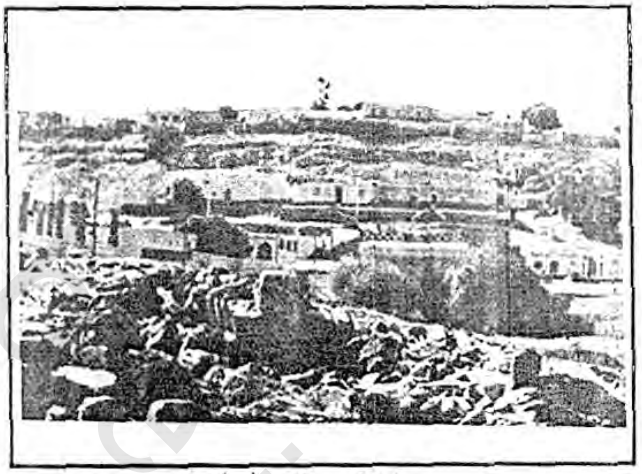

شكل رقم (٥)

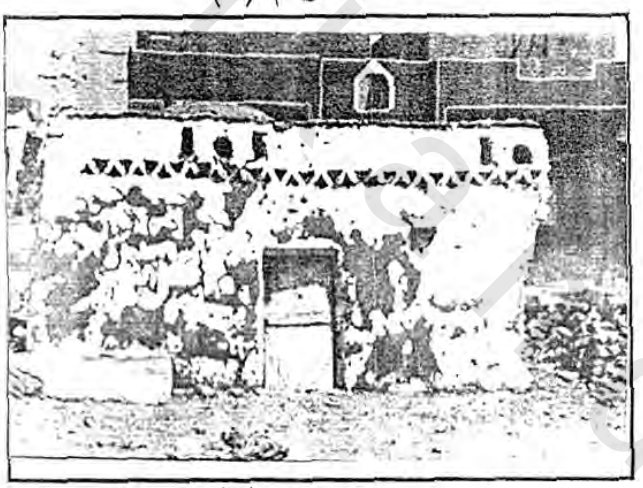

شكل رقم (٦)

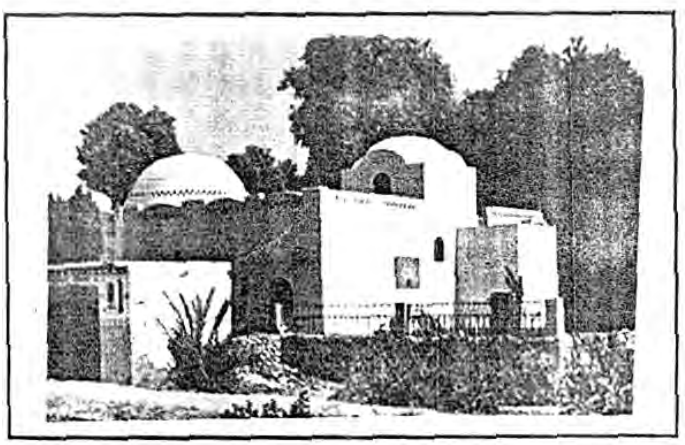

شكل رقم (٧)

سمات ومميزات العمارة النوبية :

تمهيد :

كانت العمارة النوبية من أبرز الأمثلة الحديثة على مدى تجانس الإنسان مع بيئته، فيما نراه فى فن النوبة المعمارى ، كما هو

---

(١) جون لويس بوركهات ١٩٥٠ : رحلات فى بلاد النوبة ، الهيئة المصرية للدراسات التاريخية ، صـ٣٢ .

موضح فى شكل رقم (٧) ومدى ارتباطه بجو هذه المنطقة من الـوطن مثـال واضح على مدى ارتباط العمارة فى تألف وانسجام مع البيئة وما تمتاز به مـن خصائص طبيعية [١] ، كما هو موضح فى شكل رقم (٨) .

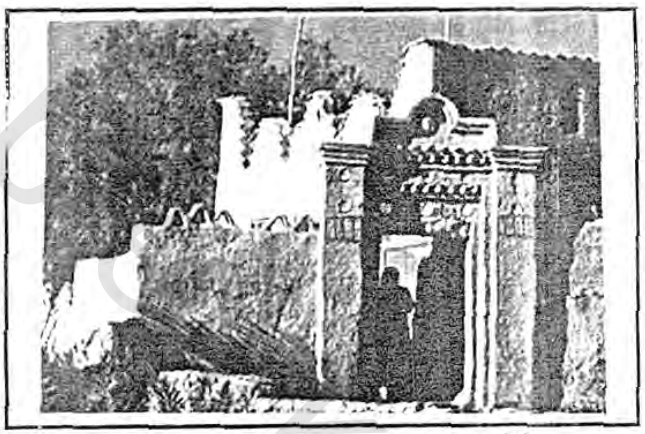

شكل رقم (٨)

ومن هنا نجد أن الثقافـة عرفت بأنها حصيلة تفاعل ذكـاء الإنسان مع البيئة الطبيعية التـى يعيش فيها فى عمليات اسـتيفاء حاجاته الروحية والمادية ويظهر صدق هذا التعريف أكثر ما يظهر فى الفنون التشكيلية ومن أخصها العمارة . [٢]

وقد شهد فن العمارة النوبية نهضة عظيمة فى النصف الأول من القـرن العشرين فجاءت المنازل جيدة بالحجر أو الطين اللبن ، وطليت وزينت بتفاصيل يتم تنفيذها بقوالب [٣] كما موضح فى شكل رقم (٩) .

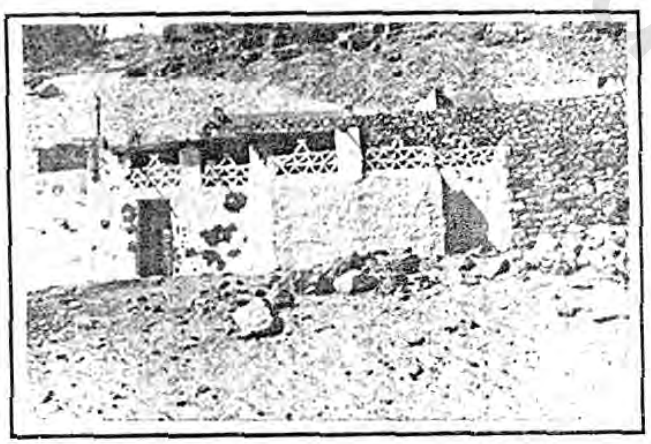

شكل رقم (٩)

وبالرغم من أن النوبة قد تعرضت للغرق أكثر من مرة عند بداية هذا القـرن فـى ١٩٠٢-١٩١٢-١٩٣٢ نتيجة تعلية خزان أسوان إلا أن النوبيين اسـتطاعوا إعادة خلق الشخصـية المكانيـة

---

(1) نبيل الحسينى ١٩٨١ : منابع الرؤية فى الفن ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

(2) حسن فتحى ١٩٧٧ : العمارة والبيئة ، دار المعارف ، القاهرة ، ص١١.

(3) هورست جارتنز ١٩٩٢ : النوبيون فى مصر ، ملاحظات عن فـن العمـارة النوبيـة ، ترجمة سيد جاد ، مجلة الفنون الشعبية ، عدد ٣٥ ، ٣٦ ، الهيئـة العامـة للكتـاب ، صـ ١١٠ .

والثقافية المميزة للمجتمع النوبى ، والتى تضرب بجذور عميقة فى عصب التاريخ الحضارى للمنطقة .

أولاً : منطقة الكنوز :

عند النظر إلى المساكن النوبية نجدها تتميز عن غيرها من المساكن بالمناطق الأخرى من عدة وجوه أهمها ارتباطها فى اختيار مكان بنائها بمستويات الأرض الطبيعية الصخرية إذ تتدرج الأرض فى الانخفاض من الشرق والغرب نحو النيل كما تتميز باتساع المساحة المقامة فوقها [١] ومن هنا أخذ هورست جارتيز Horst Jaritz نموذجاً لمنازل النوبة الشمالية من قرية دهميت .

ولقد وصفه قائلاً : "إن له ثلاثة مداخل : باب رئيسى فى الركن الشمالى الغربى من المنزل يفضى إلى ما يمكن أن يكون غرفة للضيوف ، ويلاحظ أن أرضية جانب الحوش الموصل من بوابة المدخل على امتداد الجدار الغربى إلى الغرف الأمامية ، قد غطى بطبقة ملاط الطين الناعم ، أما باقى أرضية الحوش فقد تركت على حالتها وكان المطبخ منقسماً إلى قسمين أحدهما للطهى والآخر للتخزين تفصل بينهما عتبة ودرابزين أشبه بدولاب ، ويحتمل أن تكون الحجرتان اللتان بجوار المطبخ مخصصتين للمعيشة والنوم ، بينما الحجرة التى فى الركن الشمالى الغربى تقوم مقام غرفة الضيوف ، وكانت الجدران الداخلية للغرف وجدران الحوش والمجموعة السكنية بأكملها من الخارج مطلية باللون الأبيض[٢].

---

(1) محمد صفوت ١٩٧٢: تهجير أهالى النوبة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، صـ٢١ .

(2) هورست جارتيز ١٩٩٢ : مرجع سابق، صـ١١٩ ، ١٢٠ .

ثانياً : منطقة الفاديجا :

تميزت العمارة بمنطقة الفاديجا بوجه عام بالهيكل الخارجى المربع الشكل تقريباً كعنصر أساسى وبوجود حوش مفتوح السقف مستطيل يعتبر منطقة وصل بين الغرف ، وكانت الغرف ذات الطابق الواحد المصفوفة حول الحوش منفصلة وموضوعة بترتيب خاص حسب وظائفها.

وكان يوجد فى مواجهة النيل فى غرب المنزل .. منطقة دخول بردهة استقبال للزوار تتصل بها غرفة للضيوف ، وتعتبر هذه المنطقة أرضاً وسيطة ما بين المجالين العام والخاص بالمنزل فقط من هذه المنطقة التى تعتبر نصف عامة كانت تنفتح على الشارع .. وتوجد على امتداد الجانب الشرقى للمنزل غرف الخزين والطهى والمعيشة ، وكل منها يمكن الدخول إليها وإغلاقها منفصلة إحداها عن الأخرى .. وعلى الجانب الجنوبى من المنزل مساحة مسقوفة ، مفتوحة على الحوش ، تسمح بدخول ريح الشمال الباردة السائدة وتستخدم هذه المساحة مع مساحات أخرى مشابه تفتح على الغرب .. كمكان للمعيشة يتميز بالظل للحماية من الشمس.

وفى الجهة المقابلة ، تشمل عادة كل الجانب الشمالى من البيت .. تقع مجموعة غرف منفصلة عن الغرف الأخرى، وتشكل وحدة سكنية مكونة عادة من حوش وغرفة كبيرة مفتوحة تعرف باسم الديوانى "أو صالة" العرس ، وغرفة صغيرة للخزين ومكان الطهى وحمام يستخدمه كل أفراد الأسرة" . [١]

ثالثاً : منطقة العرب :

تتشابه مساكن القرى النوبية بمنطقة العرب من حيث التخطيط وطريقة الإنشاء ومواد البناء مع مساكن النوبة الجنوبية "الفاديجا" فالحوائط من الطوب

---

(1) هورست جاريتز ١٩٩٢ : المرجع السابق ، صـ١١٤ .

اللبن ، والأسقف من جزوع النخيل ، طلاء جميع حوائط المسكن بالملاط الناعم، وزخرفت باللون الأبيض هو سمة من سمات الزخرفة بهذه المنطقة، وتقتصر الزخرفة على الاهتمام بالمدخل بشكل خاص أكثر من الداخل ، وللمسكن مدخلان رئيسى وثانوى، المدخل الرئيسى من الجهة الشرقية ، ولا يوجد فتحات خارجية، والفتحات الداخلية مطلة على البناء الرئيسى" . (١)

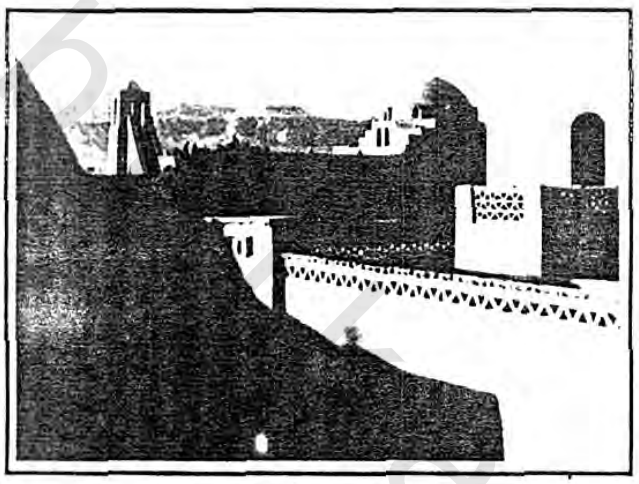

شكل رقم (١٠)

عمارة المساجد والقبور :

ارتبطت عمارة المساجد والقبور كباقى العمارة النوبية القديمة بملاط الطين الذى يستخدم كأرضية للرسم والتصوير الشعبى النوبى، "وعمارة المساجد من أهم العمائر التى اهتم بها الإنسان النوبى كما موضح فى شكل (١٠) وقام بمحاولات لتضخيمها وإكسابها طابع ذو أهمية زائدة تفوق ما يجاورها لكونها مقراً لعبادته وفيها يؤدى صلواته الخمس كل يوم". أما عن عمارة القبور والأضرحة فى النوبة فمنها ما يزال قائماً ، ويتم تشييده بنفس الطريقة القديمة وخير مثال لها ما هو موجود فى منطقة (جبل تجوج) جنوب أسوان كما موضح فى شكل (١١ ، ١٢) والتى تعتبر مقابر تاريخية ترجع إلى القرن الثالث والرابع والخامس الهجرى ، والتى

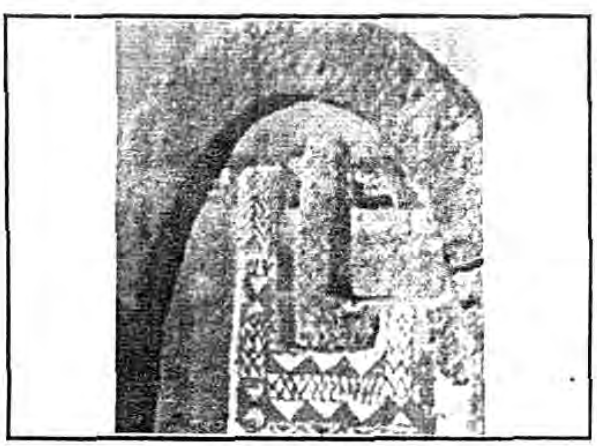

شكل رقم (١١)

---

(1) أسماء يوسف بربرى أحمد ٢٠٠٣ : رسالة ماجستير غير منشورة ، مرجع سابق صـ ١٢٤ .

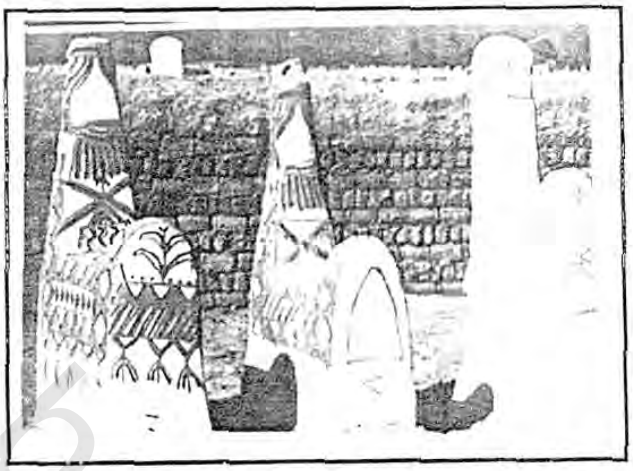

شكل رقم (١٢)

دفن فيها بعض الأشراف فى عهد الفاطميين ، ولقد زينت هذه الأضرحة بالرسوم والرايات والأعلام وكفوف الدماء للفديات والحناء فوق سطح ملاط الطين المبطن لجدرانها بعد تغطيتها باللون الأبيض .

وعن المقابر العادية التى يدفن فيها النوبيين عامة فشكلها يشبه إلى حد كبير عمارة المصاطب الفرعونية القديمة ، كما هو موضح بالشكل (١٣) الذى يمثل مقبرة حديثة ، وهى عبارة عن مستطيل ارتفاعه لا يزيد عن نصف متر وعرضه متر وطوله متران يبنى من الطين الملاط ويزخرف بفتحات غائرة على شكل دوائر ومثلثات . (١)

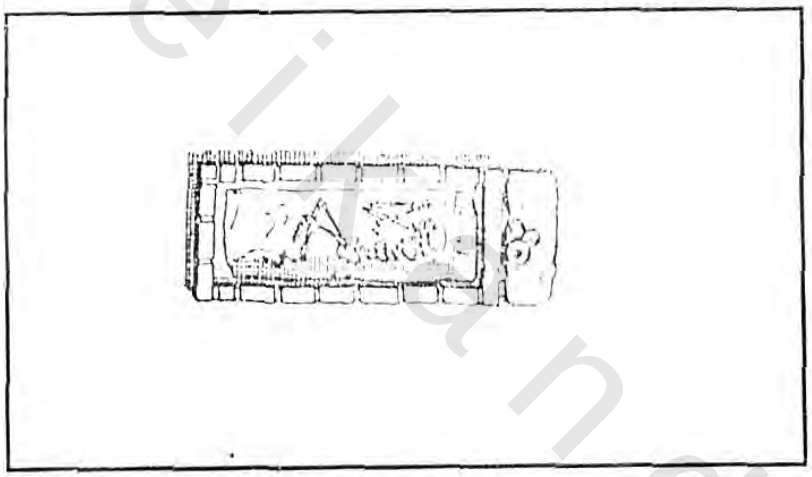

شكل رقم (١٣)

ولا ضرورة للتنويه بأن النوبيين كانوا قبل الإسلام والمسيحية من قبل ــ يقدسون أسلافهم ، ويدفنونهم وفقاً لكثير من معتقداتهم وقتذاك ــ فى أفنية منازلهم، أو تحت جدرانها حتى يمكن القول بأن منزل الأسرة النوبية كان بمثابة ضريح خاص لموتى الأسرة ، وأنه صُمِّمَ لغرض تقديس الموتى قبل تصميمه

---

(1) أحمد سليم سالم ١٩٧٨ : أثر استخدام التصوير الجدارى فوق ملاط الطين فى تجميل قرية "كلابشة" بالنوبة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة حلوان ، صـ١١٢ .

لغرض سكنى ذرياتهم، ويتضح هذا النحو من التفكير عند دخولنا إلى حجرات النوم فى المنازل النوبية، حيث يقام المخدع على هيئة مصطبة تعلوها أطباق من الخوص قد رشقت على الجدران كما موضح فى شكل (١٤) ، فبدت كما لو كانت شموساً أو أعيناً عديدة تبدو شاخصة إلى من يدخل هذا المكان الذى يعتبر فيه مخدع الزوجية بمثابة قربان لموتى الأسرة وتقديس لأسلافها هذا بالإضافة إلى الرسوم الحائطية التى تزين الجدران الخارجية للمبانى، وأحياناً أفنيتها الداخلية ، ويغلب على هذه الزخارف الطابع الهندسى الذى يتفق وهندسة مداخل البيوت وبواباتها كما موضح فى شكل (١٥) ، حيث تقتبس هذه الزخارف من أشكال الأعلام وأنواع من الطيور والحيوان وصنوف الزهور والنباتات، كما يغلب على هذه الحليات الزخرفية اللونان الأزرق واللبنى، وقد تتخللهما أحياناً ألوان براقة زاهية ، ومن دوافع الإبداع فى تنسيق هذه الوحدات الزخرفية على بيوتات النوبة الرغبة فى تنافس القرى بعضها بعض فى التميز بأجمل مظهر لمساكنها، وما من شك فى أن من بينها ما يبلغ درجة فائقة من التكامل والإحكام.[1]

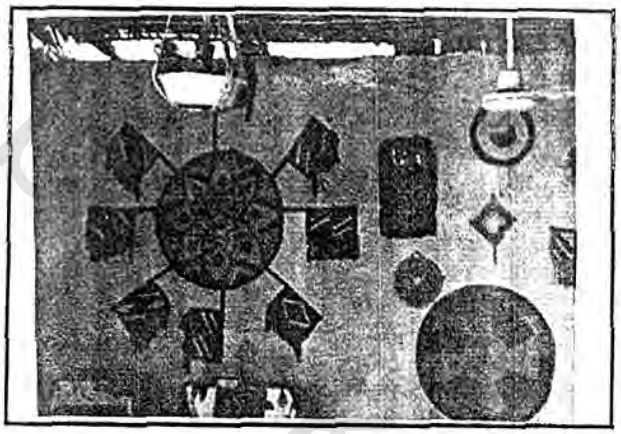

شكل رقم (١٤)

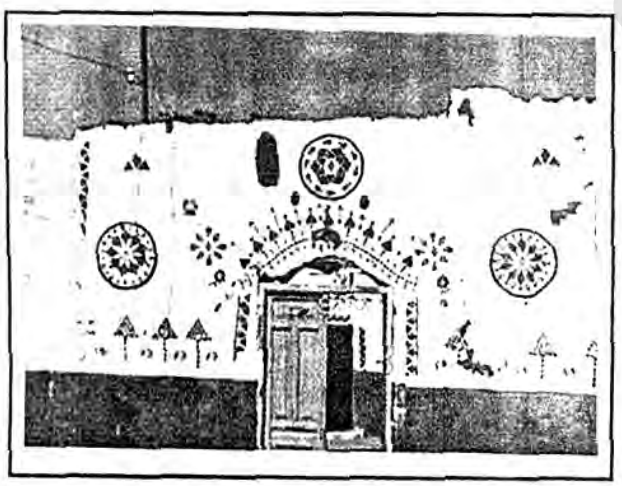

شكل رقم (١٥)

---

(1) سعد الخادم ١٩٩٧ : الفنون الشعبية فى النوبة ، مكتبة الدراسات الشعبية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، صـ ١٥٠ ، ١٥١ .

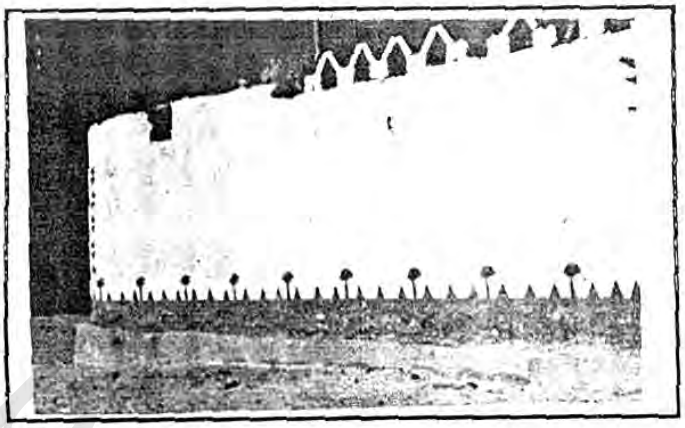

شكل رقم (١٦)

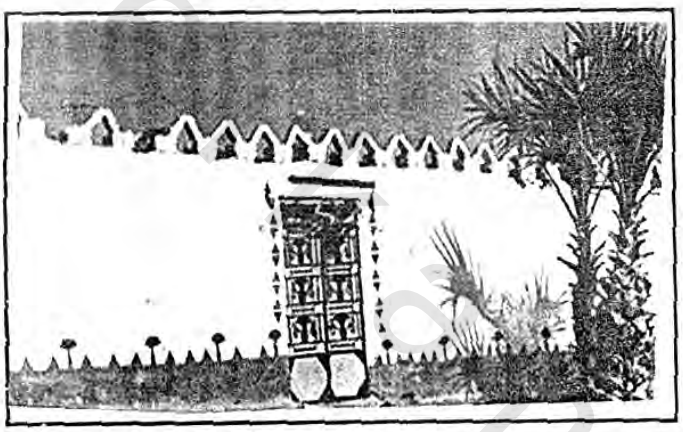

شكل رقم (١٧)

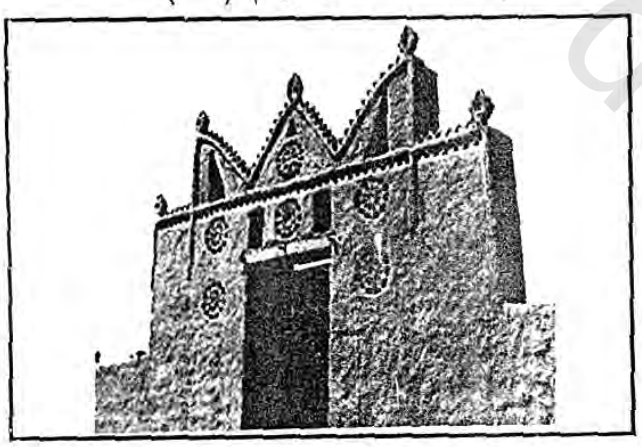

شكل رقم (١٨)

ونلاحظ أن معظم بيوت النوبة تفقد الشبابيك كما موضح فى شكل (١٦ ، ١٧) ولكن توجد فتحات ضيقة صغيرة أعلى الجدران تسمى الطاقات (جمع طاقة) ذلك حتى لا تعرضهم لرياح الشتاء الباردة كما يمكن غلق هذه الطاقات فى حالة زيادة برودة الجو وفى رأى هورست جاريتز أن <u>الأسباب التى أدت إلى فقد الشبابيك ما يلى</u> :

أ- ترك العائلات لبيوتهم وذهابهم للمرعى المجاور

ب- الخوف من التأثير السيئ للعين الشريرة.

يوجد هناك أسباب تاريخية أيضاً وهى متمثلة فى قبائل الصحراء التى اعتادت الإغارة على القروبين ، فحفاظا من مهاجمة هذه القبائل لهم قل عمل الشبابيك ببيوت النوبة [1] .

---

(1) ثروت متولى خليل ١٩٨٢ : الاستفادة من التراث النوبى فى التصميم الداخلى للمنشآت السياحية بأسوان ، <u>رسالة ماجستير غير منشورة</u> ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة حلوان، صـ ٤١ .

شكل رقم (١٩)

وبالنظر إلى "واجهات البيوت النوبية نجدها شديدة الشبه بالطرز المعمارية الفرعونية فى انحدار واجهاتها العليا إلى الخلف ، واتخاذها مظهر الأهرامات الناقصة ، كما هو موضح فى شكل (١٨ ، ١٩) والتمثيل بالفديات على واجهات المعابد الفرعونية والبوابات النوبية على حد سواء ولا غرابة أيضاً أن تتولى الفتيات حالياً طلاء واجهات البيوت وجدرانها الخارجية ويرسمن الأشجار والطير وغير ذلك على نحو قد يذكرنا أيضاً بتلك الرسوم التى نقشت على الآنية الفخارية فى عصر ما قبل الأسرات بمصر ، والتى من بين ما صورته ما اصطلح على تسميته "شجرة الحياة"، وهى نبات يخرج مما يشبه أصيص الزرع ، وله أفرع متوازية يتجه بعضها إلى اليمين والآخر إلى اليسار، وتتوسطهما ساق ترفع لتعلوا سائر السيقان الجانبية ثم تعود لتميل إلى أسفل منتهية بما يشبه الثمرة [1] كما موضح فى شكل (٢٠) .

شكل رقم (٢٠)

وسيحاول الباحث فيما يلى إلقاء الضوء على بعض ملامح من تاريخ بلاد النوبة منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث .

---

(1) سعد الخادم ١٩٩٧ : الفنون الشعبية فى النوبة ، مرجع سابق ، صـ١٦٩ ، ١٧٠ .

أولا : النوبة عبر العصور :

أجمعت نتائج البعثات والكشوف الأثرية على وجود آثار للحياة البشرية ــ تمثلت فى أدوات حجرية ونقوش صخرية ــ فى مناطق متعددة من بلاد النوبة خلال حقب العصر الحجرى القديم مثل : "خورنورى" و"واو" بالنوبة السفلى و"عافيه" و"توشكى" بالنوبة العليا .[١]، أما النوبة السفلى فقد ارتبطت بحضارات الصعيد مثل حضارة البدارى (٥٠٠٠ ق.م.) كما يتضح من الأوانى الفخارية التى عثرت عليها البعثات الاستكشافية فى منطقة الجندل الثانى .[٢]

ثانياً : النوبة فى العصر الفرعونى :

مع نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد تمكن قاطنى الشطر الشمالى لوادى النيل من إقامة حكومة مركزية تدير دولتهم الموحدة . وقد جرى العرف على تحقيب التاريخ الفرعونى تبعاً لتسلسل الأسر الملكية ، إلا أن خطى أهل النوبة فى مضمار الحضارة كانت أبطأ قدماً من أقرانهم فى الشمال . [٣]

١- النوبة فى عصر بداية الأسرات (٣١٠٠ - ٢٧٠٠ ق.م.) :

لم تختلف أساليب معيشة أهالى النوبة وطريقة استغلال مواردهم كثيراً عن حضارات العصر الحجرى الحديث سوى فى تحولهم من مجرد قبائل رحل إلى قاطنين للأرض . وتدل لوحة "الملك جر" أحد ملوك الأسرة الأولى الموجودة

---

(1) Fred Wendort 1966, The Prehistory of Nubia (Dallas : Southern Methodist University Press). Vol. 1, PP. 102-106.

(2) تورنى سيف سودربيرج ١٩٨٠ ، "النوبة تستكشف من جديد .. من عصر ما قبل التاريخ إلى العصور الفرعونية" ، رسالة اليونسكو (العدد ٢٢٤-٢٢٥ ؛ القاهرة : مارس ــ أبريل) ، صـ ١٠ .

(3) Walter B. Emery 1965, Lost Emerging (New York: Charles Schribner's Sons), P.27.

فى جبل الشيخ سليمان جنوبى مدينة بوهن بالقرب من الجندل الثانى على صلة النوبيين القوية بأشقائهم فى الشمال . (١)

٢- عصر الدولة القديمة (٢٧٠٠ - ٢٢٠٠ ق.م.) :

اختلفت الأوضاع المحلية عما كان سائداً فى الحقبة السابقة : إذ "أن حكومة منف المركزية قد بسطت سيادتها الكاملة على النوبة السفلى فى عهد "سنفرو" آخر ملوك الأسرة الثالثة وقد امتدت تلك السيطرة خلال حكم ملوك الأسرة الرابعة مثل "خوفو" و"منكاورع" ، والأسرة الخامسة مثل "وسركاف" و"ساحورع" الذين وجدت أسمائهم فى أختام بردية عثر عليها المستكشفون فى مدينة "بوهن" ". (٢)

٣- عصر الاضمحلال والدولة الوسطى (٢٢٠٠ - ١٥٥٠ ق.م.) :

"وشهد عصر ملوك الأسرة السادسة أمثال : "تيتى" و"ببى الأول" و"مرن رع" تزايداً فى النفوذ والسيطرة على بلاد النوبة التى حكمها كبار الموظفين مثل "أونى" و"حارخوف" ولكن سرعان ما بدأت المتاعب تطل برأسها فى النوبة مع نهاية الأسرة السادسة نظراً لتوافد عناصر شعوبية جديدة حاولت الاستقرار بتلك المنطقة" . (٣)

"وكان لأصحاب هذه الحقبة مزيجاً من العناصر النوبية الأصلية والمجموعات التى وفدت إلى بلاد النوبة من المناطق الجنوبية للصحراء الغربية . وقد شهد عصر الاضمحلال الأول (٢١٨١ - ٢٠٤٠ ق.م.) تنازع

---

(1) Bruce G. Trigger 1967, Nubia Under the pharaohs (London: Thames and Hudson), pp. 36-41.

(2) Rober A. Fernea 1973, Nubians in Egypt.. Peaceful people (Austin: University of Taxas Press), pp. 8-10.

(3) Jocelyn Gohary 1998, Guide to the Nubian Monuments on lake Nasser (Cairo: Amercian University in Cairo), p.7.

حكام أقاليم الصعيد على النوبة السفلى ؛ أما النوبة العليا فقد قويت بها شوكة "حضارة كرما" حتى أنها هددت حدود مصر الجنوبية" . (١)

أما عصر الدولة الوسطى (٢٠٤٠ - ١٧٨٦ ق.م.) "فقد تميز بالهيمنة المصرية التامة على النوبة السفلى ، حيث أقيمت القلاع الحصينة إلى جانب مراكز التعدين وصهر الذهب . وسرعان ما انحسر الوجود المصرى فى النوبة السفلى خلال عصر الاضمحلال الثانى (١٧٨٦ - ١٥٥٠ ق.م.) ليحل محله سلطان دولة كوش التى امتدت حتى جنوب أسوان وتجلت مظاهر رقيها فى عمارتها وفخارها المعروف باسم "فخار كرما" ، وتشير الشواهد إلى قيام علاقات ودية بين الحكام الكوشيين وأقرانهم من الهكسوس فى الدلتا" . (٢)

٤- عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠ - ١٠٧٠ ق.م.) :

"إثر قيام ملوك الأسرة الثامنة عشر ــ تحت زعامة أحمس ــ بطرد الهكسوس من الشمال ، نجحت جهودهم فى السيطرة على النوبة السفلى بل أن تحتمس الثالث قد بسط نفوذه ــ بعد سقوط حضارة كرما ــ حتى الجندل الرابع .

وبذلك أصبحت النوبة امتداداً طبيعياً للأرض المصرية ، تسرى عليها نظم الدولة الإدارية مما أدى إلى تطور النوبة وتمصيرها حضارياً وثقافياً تمصيراً كاملاً. وقد صاحب انهيار الدولة الحديثة فترة غموض مرت ببلاد النوبة لمدة تزيد على ثلاثة قرون ندرت فيها مصادر المعلومات والأخبار" . (٣)

---

(1) Robert A. Fernea 1973, Op. Cit., P.11.
(2) Jocelyn Gohary 1998, Op. Cit. P.9.
(3) Walter B. Emery 1965 , Egypt in Nubia (London: Hutchinson), P.P. 83-86.

obeikandi.com

٥- العصر الكوشى (٧٨٠ - ٥٩٣ ق.م.) :

إثر سقوط الدولة الحديثة ، "انحسر الوجود الإدارى المصرى عن النوبة، إلا أن الوجود الثقافى والحضارى استمر قوياً وفعالاً . وقد مثلت هذه الفترة فى بلاد النوبة ببدايات حضارة المجموعة المجهولة . ويتضح ذلك مع بدايات القرن الثامن قبل الميلادى ، إذ تأسست فى مدينة "نباتا" أسرة حاكمة من أصول محلية ، مدت ملكها حتى أسوان ونجحت فى تأسيس الأسرة الخامسة والعشرين التى أنهت محنة عصر الاضمحلال الثالث" . (١)

وقد حمل الملوك النوبيون الألقاب الفرعونية التقليدية وتحدثوا باللغة المصرية واستخدموا كتاباتها وشكلوا أعمالهم الفنية فى النقش والنحت على النمط المصرى .. وبذلك دخلت مصر عصراً جديداً من الوحدة السياسية والاستقرار الإدارى تحت الحكم النوبى الذى انتهى بدخول الآشوريين أراضى مصر عام ٦٦٣ ق.م. واضطرار الملوك النوبيين لنقل مقر ملكهم إلى الجنوب فى مدينة "مروى" وإن احتفظوا لمدينة "نباتا" بمكانتها المقدسة . (٢)

٦- العصر المروى (٥٩٣ ق.م. - ٣٥٠ ق.م.) :

أ- مملكة مروى :

تقع "مروى" على الضفة الشرقية للنيل بين الجندلين الخامس والسادس وفى المنطقة التى تعرف حالياً باسم "بوتانا" ، وهى منطقة تتميز بوفرة مائها ، وخصوبة أرضها ، فتيسرت لمروى وأهلها سبل الزراعة والرعى . كما أنها بموقعها هذا تحكمت فى طرق القوافل التجارية المتجهة شرقاً نحو البحر الأحمر، وغرباً نحو كردفان ودارفور ، وشمالاً نحو مصر، وجنوباً نحو أواسط أفريقيا .

---

(1) D.A Welsby 1996, the kingdom of kush (London: British Museum Press), P. 56.

(2) صدقى ربيع ١٩٦٢ ، النوبة بين القديم والجديد ، مرجع سابق ، صـ١٩ .

ولا عجب إذن أن تصير "مروى" مركزاً اقتصادياً حاشداً بالحياة والحركة منذ القرن السابع قبل الميلاد على الأقل ، وتصبح محط أنظار الملوك الكوشيين حتى أنهم نقلوا إليها عاصمة ملكهم فى عهد "أسبلتا" ، ليبدأ العصر المروى الذى استمر تسعة قرون بحيث تزامن مع العصر الفارسى (الأسرة السابعة والعشرين) والأسرات المتأخرة (٢٨ – ٣١) والعصر البطلمى والعصر الرومانى . (١)

وامتدت سيطرة مملكة مروى من شمال السودان إلى النوبة العليا ، ونعمت بالاستقرار وساعدتها تجارتها وإمكاناتها الذاتية على الازدهار ، وابتداء من عهد ملكها "أرك أمانى" (حوالى ٣٠٠ ق.م.) نقلت مدافن الملوك من "توى" إلى "مروى" ، وراحت العاصمة القديمة "نباتا" تفقد مكانتها تدريجياً ، وبالتالى أخذ التأثير الحضارى المصرى فى الحضارة المروية يمتزج بتأثيرات محلية أفريقية ، فضلاً عن تأثيرات أخرى أوروبية هذه المرة ، وإن كانت قد وصلت النوبة عن طريق مصر عندما خضعت للحكم البطلمى . (٢)

ب- عصر البطالمة :

"فى بداية عهد الملك المروى "تستاسن" (٣٣٥ – ٣١٠ ق.م.) دخل "الأسكندر الأكبر" مصر . وبعد وفاته فى بابل عام ٣٢٣ آل حكم مصر إلى واحد من كبار قواده وهو "بطليموس بن لاجيد" لتدخل فيما يعرف باسم العصر البطلمى ، وانخرط الملوك البطالمة فى منافسات تجارية شرسة مع دول حوض البحر المتوسط ، واشتد الطلب على المنتجات الأفريقية مثل الذهب والعاج والأبنوس والتوابل والحيوانات الحية ، ومنها الفيلة التى انتشر استعمالها فى القتال . ولذلك تطلع البطالمة إلى النوبة ، طريقهم إلى تجارة أفريقيا وثرواتها .

---

(1) Bruce G. Trigger 1969"The Myth of Meroe and the African iron Age" African Historical studies (Vo.ll, No.1; Cairo), PP. 23-29.

(2) جاب الله على جاب الله : متحف النوبة ، بدون تاريخ ، (قطاع المتاحف ، صـ٢٩) .

وقد قام "بطليموس الثانى" بحملة على النوبة (يسميها أثيوبيا) ، ولكن يبدو أنها لم تأت بنتيجة مثمرة ، ولذلك لا نسمع عن محاولات أخرى لضم النوبة إلى الحكم البطلمى بالقوة . وبدلاً من ذلك نشأت فى النوبة السفلى منطقة شبه محايدة تابعة لمعبد الآلهة "إيزيس" فى جزيرة فيلة عرفت باسم أرض الاثنى عشر فرسخا (دوديكاسخوينوس Dodekaschoinos) وامتدت من جنوبى أسوان حتى المحرقة حالياً ، وبذلك كانت بمثابة أرض محايدة بين المرويين فى السودان والبطالمة فى مصر ، وهو حياد لم ينتهك سوى مرة واحدة فى عهد الملك المروى "أرك أمانى الثانى" (٢١٨ – ١٩٥ ق.م.)" . [١]

ج- عصر الرومان :

"بداية الأمر ، اتفق الرومان والمرويون على بقاء النوبة تحت سيادة مروى ، على أن تكون خاضعة للحماية الرومانية ، غير أن هذه الاتفاقية لم تدم طويلاً ، إذ زحف جيش مروى فى عهد ملكة تدعى "أمانى ريناس" وأوقع الهزيمة بثلاثة فيالق رومانية ، واحتل جزيرة "فيله" كما احتل "أسوان" ، وأخذ الكثير من الأسرى والغنائم وحطم تماثيل "أغسطس"" . [٢]

"هكذا اتسمت العلاقة بين المرويين والرومان فى بدايتها بالعنف ، ولكن سرعان ما أدرك الطرفان عدم جدوى العداء فيما بينهما ، فعقدا صلحاً خضعت بمقتضاه النوبة الشمالية حتى المحرقة ، للحكم الرومانى، بينما تركت النوبة العليا تحت السيادة الاسمية لمملكة مروى ، وبذلك ساد الهدوء بين الطرفين ، وأقام

---

(1) عبد الحميد السيد مزروع ٢٠٠١ : الاستفادة من الزخارف النوبية لابتكار تصميمات تصلح لطباعة أقمشة المفروشات والمعلقات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الفنون التطبيقية ، جامعة حلوان ، صـ٢٣ .

(2) J. M. Taylor 1991, Egypt and Nubia (London: British Museum Press), PP. 33-38.

الرومان حاميات ومعابد فى أماكن متفرقة من منطقة الدوديكاسخوينوس مثل "الدكة" و"قرطاسى" و"دابود" ". (١)

ثالثاً : النوبة فى العصر المسيحى (٣٨٠م – ٦٤٠م) :

"بدأ العصر المسيحى فى بلاد النوبة عندما أعلن الإمبراطور البيزنطى "ثيودوسيس الأول" المسيحية ديناً رسمياً للدولة عام ٣٨٠م ، وبعد ذلك بعشر سنوات حرم الديانات الوثنية فى أرجاء الإمبراطورية ، ولذلك أمر بإغلاق معابد الآلهة فى مصر والنوبة بما فى ذلك "معبد إيزيس" فى فيله مما أثار المشاعر الدينية لدى البلميين والنوباديين على حد سواء ، فنسوا ما كان بينهم من عدوات وأحقاد ، ووحدوا صفوفهم ضد أعداء دينهم ، وأخذوا يشنون غارات على التجمعات المسيحية فى الواحة الخارجة كما قاموا بغزو منطقة طيبة فى منتصف القرن الخامس وحاصروا أديرتها" . (٢)

"ومع بداية القرن السادس الميلادى طرأ على النوبة تحول سياسى جوهرى إذ نشأت فيها ثلاث ممالك مستقلة ، أولها "مملكة نوباديا" التى غطت أراضيها المساحة الممتدة من الجندل الأول إلى الجندل الثالث . وثانيها "مملكة مقريا" التى كانت تمتد من دنقلة العجوز (عاصمتها) حتى المنطقة الواقعة بين الجندلين الرابع والخامس . وإلى الجنوب منها فى أراضى مروى القديمة ، قامت المملكة الثالثة "مملكة علوة" وعاصمتها "سوبا" على النيل الأزرق ، شمال شرق الخرطوم" . (٣)

---

(1) Willian Y. Adams, Qasr Ibrim1996, The late Mediaeval Period (London: Egypt Exploration Society), P. 34.

(2) P.E.H. Hair 1964, "Christianity in Medieval Nubia and the Sudan.. A Bibliographical Note" Bulletin of the Society for African Church History (Vol.1, No. 3-4; Cairo), PP. 67-69.

(3) Ibid., P. 126.

openkanal.com

وكان طبيعياً ، "أنه مع انتشار المسيحية فى النوبة أن تلاشت المعتقدات الوثنية القديمة لتحل محلها مظاهر عهد جديد يبرز فيه العنصر المسيحى بقوة وجلاء ، وخلال القرنين الثامن والتاسع نعمت النوبة بعصر رخاء وازدهار لم تنعم بمثيله منذ وقت طويل حيث انتشرت الكنائس والأديرة بين أرجاء النوبة . وفضلاً عن ذلك فقد تم تحويل عدد كبير من المعابد . إما جزئياً أو كلياً ، إلى كنائس ، ومن بينها "معبد إيزيس" فى جزيرة فيله ومعابد "دندور" و"طافا" و"بيت الوالى" و"جرف حسين" ". (١)

رابعاً : النوبة فى العصر الإسلامى (٦٤١م - ١٥١٧م) :

عرف العرب المسلمون طريقهم إلى بلاد النوبة مع بداية فتحهم لمصر عام ٦٤١م بقيادة "عمرو بن العاص" ، فقد أرسل لها حملة تحت إمارة "عبد الله بن سعد بن أبى السرح" ، ولكنها واجهت مقاومة عنيفة من قبل مملكة النوبة القوية ، فعقد هدنة عرفت باسم "البقط" ، وكانت اتفاقية ذات طابع سياسى وتجارى فى آن واحد ، إذ نصت على عدم اعتداء أحدهما على الآخر ، وعلى أن ترسل النوبة سنوياً إلى مصر عدداً محدداً من الرقيق ، فى مقابل قدر معين من المحاصيل الزراعية المصرية ، وقد استمر العمل بهذه الاتفاقية حتى العصر الإخشيدى . (٢)

وفى "عصر الدولة الإخشيدية (٩٣٤ - ٩٦٩م) توالت غارات النوبيين على حدود مصر الجنوبية ، إذ هاجموا الواحات الخارجة عام ٩٥٠م ، وأغاروا على أسوان عام ٩٥٦م . حيث قتل جمع غفير من المسلمين . ولذلك أسرع "أنوجور بن الإخشيد" بإرسال حملة تمكنت من هزيمتهم ثم زحفت حتى وصلت

---

(1) عبد الحميد السيد مزروع ٢٠٠١ : رسالة ماجستير غير منشورة ، مرجع سابق، صـ٢٧ .

(2) Harold A. MacMichael 1922, A History of the Arabs in the Sudan (London: Cambridge University Press), P. 39.

"إبريم" ، وعادت إلى مصر مصحوبة بالأسرى والسبايا . غير أن النوبيين استغلوا اضطراب الأحوال فى مصر فى عهد "كافور الإخشيدى" بسبب المجاعة التى حاقت بأهلها نتيجة انخفاض فيضان النيل ، وجددوا غاراتهم على الصعيد حتى وصلوا إدفو.

وبمجرد قيام الدولة الفاطمية فى مصر (٩٦٩ - ١٧١١م) أوفد القائد "جوهر الصقلى" مبعوثاً إلى "جورج الثانى" ملك النوبة يطلب إليه الالتزام "بالبقط"، ولقد ازداد رسوخ قدم القبائل العربية بالنوبة السفلى حتى أن المسلمين بها تمتعوا بالاستقلال كما أن كثيراً من النوبيين اعتنقوا الدين الإسلامى" . (١)

وأصبح النوبيين رعية لدولة إسلامية ، وبذلك شاركوا فى تحمل التبعات والواجبات وتمتعوا بالحقوق التى تمنحها الدولة الإسلامية لرعاياها، وقد أنشأ السلطان "بيبرس" فى مصر ديواناً أسماه ديوان النوبة ، لرعاية شئونها . وفى القرن السادس عشر كان الإسلام قد حل نهائياً محل الديانة المسيحية . (٢)

خامساً : النوبة فى العصر الحديث (بدءاً من ١٥١٧) :

يبدأ تاريخ النوبة الحديث مع غزو العثمانيين لمصر عام ١٥١٧م . بعد الانتصار الذى أحرزه السلطان "سليم الأول" على المماليك فى موقعة "الريدانية" ، ومع ضعف الحكم العثمانى زاد نفوذ المماليك الذين كانوا حكاماً للأقاليم (سناجق) فى العصر العثمانى ، وكونوا حكومة للبلاد قبل مجيئ العثمانيين وأعرف الناس بشئونها وبذلك عانت النوبة اضطراب نتيجة الصراع بين أمراء المماليك بعضهم البعض من ناحية وبينهم وبين السلطة العثمانية من ناحية أخرى حتى جاءت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩١م .

---

(1) جاب الله على جاب الله : متحف النوبة ، مرجع سابق ، بدون تاريخ ، صـ٣٨ .

(2) جاب الله على جاب الله : نفس المرجع ، بدون تاريخ صـ٣٩ .

وقد زار علماء الحملة الفرنسية صعيد مصر وبلاد النوبة وجاءت دراستهم فى كتاب "وصف مصر" الذى انتهى العمل فيه عام ١٨٢٢م . وتضمن دراسة عن النوبة والنوبيين وضعها العالم الفرنسى "كوستاز" ، وتكمن أهمية هذه الدراسة فى أنها ألقت الضوء للقارئ الأوروبى على بلاد النوبة التى كانت مجهولة بالنسبة لهم" . (١)

"ولم يلبث محمد على أن وثب على حكم مصر عام ١٨٠٥ ثم تطلع إلى فتح السودان فدخلت النوبة وسنباء وكردفان فى حوزة مصر .

وقد تقدم بنفسه عام ١٨١٥ م. على رأس الجيش الذى وصل إلى "دنقلة" وقضى على فلول المماليك بها ، وأعلنت بلاد النوبة ولاءها للحكم المصرى ، وزار محمد على النوبة مرة أخرى فى أكتوبر ١٨٣٨م. وحقق الفتح المصرى الأمن فى بلاد النوبة والصعيد . ونظر المصريون للسودان والنوبة كجزء لا يتجزأ من مصر ، ووصلت حدود مصر الجنوبية إلى جزيرة صاى ". (٢)

وعندما "اشتعلت نيران الثورة المهدية فى السودان ، قدر لبلاد النوبة أن تكون ميداناً للمعارك بين جيوش الدراويش من أتباع الثورة وبين الجيش المصرى الذى أرسل لاسترجاع السودان تحت قيادة " اللورد كتشنر " . وانتهت الحملة بموقعه " توشكى" فى أغسطس ١٨٨٩م. وتشتت جيش الدراويش وسعت انجلترا إلى استرجاع " دنقلة " وبقية السودان ، وانتهت الأمور بالاتفاق الثنائى بين الحكومتين المصرية والبريطانية فى ١٩ يناير ١٨٩٩م وهو الاتفاق الذى أضر بوحدة السودان ومصر معاً ، حيث انفردت انجلترا فى الواقع بحكم السودان لتستغل مصادر الثروة فيه لمصلحتها الذاتية ، وقد أضر الاتفاق كذلك

---

(1) عبد الحميد السيد مزروع ٢٠٠١ : رسالة ماجستير غير منشورة ، مرجع سابق صـ ٣١ .

(2) Jecelyn Gohary 1998, Op. cit., pp. 18-20.

بوحدة بلاد النوبة السياسية وقسمها إلى قسمين رئيسيين : النوبة السودانية (أو العليا) وتمتد داخل السودان، والنوبة المصرية (أو السفلى) وتمتد من الحدود السودانية حتى أسوان ، هذا بالرغم من أن هذه البلاد بقسميها تمثل وحدة جغرافية متميزة يسكنها شعب متماثل عرقياً وثقافياً واجتماعياً" [١] .

"وفى عام ١٩٠٧ أجريت أول تعلية "لسد أسوان" ، وهو الأمر الذى أفزع الكثير من علماء الآثار المصرية ، ولكن عوض تلك الخسارة القرار الذى اتخذته الحكومة المصرية بإرسال حملة لتسجيل الآثار فى كل المواقع المهددة بالغرق ، وأجريت عمليات مسح أثرى منظم فى مصر ، شارك فيه من علماء الآثار "جورج ريزنر" Geoge Reisnse وسيسيل فيرث Cecil Firth كما كلف والترايمرى Walter Emery بعملية المسح الثانية حينما تقرر تعلية السد للمرة الثانية عام ١٩٢٩م وكانت المنطقة التى ستغمرها المياه حتى "أدندان" على حدود السودان . وعثر فى الثالث من نوفمبر عام ١٩٣١م. فى أواخر عملية المسح على مدافن "بلانة" و "قسطل" ". [٢]

"ثم جاء بناء السد العالى على بعد حوالى سبعة كيلومترات جنوب سد أسوان ووجهت منظمة اليونسكو حملة دولية فى ٨ مارس عام ١٩٦٠ لإنقاذ آثار النوبة ، واستجابت الهيئات الدولية لتلك الحملة . وتم إنقاذ معبدى "فيلة" و "أبو سمبل" وبقية معابد النوبة بعد أن غمرت بلاد النوبة القديمة تحت مياه البحيرة ، وهجر سكانها إلى الشمال من مدينة "كوم أمبو" بعد أن كانت مسرحاً لتاريخ مجيد وممالك عريقة ".[٣]

---

(1) William Y. Adams 1977, Nubia.. corridor to Africa (London: Penguin Books), pp. 161-164.

(2) جاب الله على جاب الله : متحف النوبة ، مرجع سابق ، بدون تاريخ ص٤٣ .

(3) عبد الحميد السيد مزروع ٢٠٠١ : رسالة ماجستير غير منشورة ، مرجع سابق، صـ٣٣ .